التناص الديني في رواية الورم:

د. بوترعة رشيدة

جامعة سيدي بلعباس

تاريخ الارسال...2025/10/15. تاريخ القبول..2025/12/5. تاريخ النشر .2025/12/28ا

الملخص

أن فهم النص من خلال منظور التناص يعني إدراكه على أنه فسيفساء من العديد من النصوص والأفكار والسياقات الأخرى، المنسوجة معًا. يدعونا التناص إلى قراءة النصوص وتفسيرها من خلال إشاراتها المتعددة إلى نصوص أخر

كما انه مفهوم يشير الى ان الأعمال الأدبية مشتقة من عمل أدبي سابق أو متأثرة به. هناك تناص مقصود، وهو استعارة مقصودة من النصوص، وهناك تناص كامن، وهو عندما تظهر الإشارات عرضًا وفي هدا المقال نريد التعرف على المصادر الدينية الي استلهمتها رواية الورم لمحمد ساري.

الكلمات المفتاحية:

التناص. الادب. الرواية. السرد. الاستعارة..

Abstract:

Understanding a text through the lens of intertextuality means perceiving it as a mosaic of many other texts, ideas, and contexts, woven together. Intertextuality invites us to read and interpret texts through their multiple references to other textsIt is also a concept that indicates that literary works are derived from or influenced by a previous literary work. There is intentional intertextuality, which is a deliberate borrowing from texts, and latent intertextuality, which is when references appear incidentally. In this article, we want to identify the religious sources that inspired Muhammad Sari's novel "The Tumo.

Keywords:

Intertextuality. Literature. Novel. Narrative. Metaphor

إن القارئ المتفحص لرواية الورم يظهر له أن الرواية «تنهض على أساس التفاعل الخارجي بين مختلف أشكال الثقافة الإنسانية، والتفاعل الداخلي الذي يحدث بين شبكة النصوص المترابطة فيما بينها عبر الروابط »[i] ترتبط الاقتباسات القرآنية التي يلجأ إليها الكاتب وينهل منها ليدعم مخزونه اللغوي والبلاغي، ويعود السبب الأقوى والأساسي لحضور التناص القرآني في السرد الروائي الجزائري ورواية الورم خاصة إلى جملة من الظروف السياسية والاقتصادية، التي عاشتها الجزائر وبحكم تلك الفترة التي عاشها الراوي وصاغ فيها روايته كان لابد له أن يتمسك بالنص القرآني، ليبين موقف الجماعة الإسلامية التي تقمصت أفكارا دينية بحجة الجهاد في سبيل الله واستفاد منه ووظفه بما يناسب خطاباته ونصوصه، ليخدم الفكرة ويدعم آراءه ويعمق معانيه.

كان الراوي أكثر اطلاعا على القرآن الكريم مما جعله يسري في روايته سريان الدم في العروق فاقتبس من آياته المحكمات وأكثر من ذلك تشد انتباه القارئ ففي القرآن يجد الكاتب كل ما يحتاج إليه من رموز تعبيرية عما يريد من قضايا دون اللجوء إلى الشرح والتفصيل، ويغدوا تناصا يرتكز على ثيمات تعمق من دلالات الرواية وانشغالاتها الفكرية والنفسية .

وفي هذا البحث سنتناول ما تعالق مع رواية الورم من مستندات دينية مقدسة أو مضمنة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ويعنى بالتناص الديني أو الاقتباس إن صح التعبير «تداخل نصوص دينية مع النص الروائي الخاضع للدراسة، عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الخطب والأخبار الدينية »[ii] نجد هذا النوع من التناص في قول الراوي الذي أورده على اللسان الأفغاني، موجها إياه لكريم الناقم على بقائه في البيت لحظة اقتحام العسكر منزله واعتقاله ليخفف من شدة غيظه ويضمد جراحه قائلا « عسى أن تكره شيئا وهو خير لكم»[iii] وهو تناص مع الآية الكريمة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾* وهو تناص غير مباشر وقد اختار الراوي هذه العبارة ليبين حقيقة الخير الذي يمكن أن يكتب لكريم بعد هذا الاعتقال ويوضح له أن ما تصوره مصيبة وتمنى أن يفر منه كي لا يحدث له قد يجعل الله فيه خيرا كثيرا وهي عبارة مخالفة لما جاء به الدين.

وفي حديث آخر صاغه الراوي على لسان كريم قائلا «ونعم بالله، ونحن قانعون بما كتب الله لنا»[iv] وهو تناص أيضا مع الآية الكريمة ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾* ومن خلال هذا المقطع يستسلم كريم لقضاء الله وقدره ويعيد الأمر لله القادر الذي خط القدر في لوح محفوظ، فما كان أمامه سوى ضرورة القناعة والرضا بالقدر خيره وشره، والصبر على البلاء والمصائب التي حلت به، فالروائي يضفي على الرواية طابعا دراميا غامضا يجذب القارئ ويثير

فضوله ويأخذه «إلى مساحات رحبة كثيفة بالدرامية والدلالات الغامضة، والإيحاء الدلالي»[v] الذي يجبره على تفسير الابتكار الروائي وإعادة صياغته بطريقة جديدة تبرز المعاني العميقة والتجارب الإنسانية المشتركة، فتُفْتَح آفاق الرؤى أمام المتلقي وتصبح للرواية مساحة واسعة لاستكشاف المفاهيم الفلسفية والمشاعر الإنسانية، بأسلوب شعري مثير للإبهار.

ويقول في موضع آخر « وقف الأفغاني بتثاقل وأعلن عن وقت صلاة المغرب »[vi] وهو تناص مع الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾* استخدم الراوي هنا لغته وبلاغته لخلق دلالة تتعلق بالواقع الأخلاقي فجاء بلفظة تثاقل المرادفة لكلمة كسالى وساهون ليصور حالة الأفغاني وهو يؤم الجماعة ويحرضهم على القتل وسفك دماء المسلمين الأبرياء براءة الذئب من دم يوسف وهذه الحالة «تساق فيها الصور تباعا وكأنها تعرض شريطا متحركا حافلا بالخلفيات التي تتحرك فيها الرموز»[vii] وتتسارع فيها مواقف النفاق.

أما في قوله على لسان أحد الأمراء «أيها الفضولي اللعين من أذن لك بالدخول؟ ألم نعلمكم بأن لا تدخلوا بيوت الناس قبل استئذان أهلها»[viii] تناص هذا القول مع الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾* ولعل القارئ هنا يلاحظ أن مضمون الآية يتجلى في الأمر بعدم دخول أو وطأ أي مكان دون الاستئذان، سواء كان هذا المكان بيت أو غيره، فلا يمكن الدخول إلا بعد أن يؤذن للمستأذن وإلا أصبح الدخول حق غير شرعي فيه ذمة وتأنيب للفاعل، وهذا التناص يرصد «في إطار بنية أصلية ذات مكونات مضمونية وخاصيات شكلية لتتخذ أصيلا يقاس عليه لإبراز التماثل والاختلاف بين البنية الأصلية والبنيات الفرعية، وهذه هي المقاربة غير المستقيمة (اللاخطية)»[ix] التي تشير إلى استخدام نهج جديد للربط بين النصين داخل سياق النص الجديد بتصميم أصلي ومبتكر.

ثم نجد الراوي يستخدم ظاهرة التناص في عبارة «غازين فاتحين باحثين عن واحة ريحانة شبيهة بصورة الجنة، بخيراتها اللذيذة، من فواكه نادرة وأنهار عسل وانخمر وقصور مزدانة بحور عين قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان»تناص مع الآيات الكريمات ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾* ومع الآية الكريمة ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾* لعله أراد أن يشير إلى رغبة هؤلاء وطمعهم في بلوغ المراتب العليا في الدنيا وكأن هذه الجنات التي تحدث الله عنها في

القرآن الكريم موجودة على وجه الأرض يسكنها كل من تقرب من هؤلاء الأمراء الجاحدين الطاغين في الأرض.

ثم نراه يأتينا بلفظة « كل واحد يقول أنا ربكم فاعبدوني »[x] المتناصة مع الآية الكريمة التي جاءت فيها قصة فرعون ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾* فهذه العبارة أحضرت قصة فرعون الجبار الذي أفسد في الأرض وبطش فيها، وفي الرواية أعطت دلالة إيحائية تنسجم مع الدلالة القرآنية فالراوي غاضب وحزين حيث الظلم والقهر والاستبداد ، وهناك في وطنه الحبيب طغى الظلم وأكل الظالم حق المظلوم والضعيف فأصبح السيف اللغة الوحيدة التي يُنطق بها، وبتر الرأس الدرس الوحيد الذي يتعلم منه الجميع .

ومن التناص اللغوي مع القرآن الكريم توظيفه لعبارة «لا يكلف الله نفسا إلا وسعه»[xi] الذي عمد إلى اجترارها فالكاتب هنا تناص مع الآية القرآنية ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾* فهذه الرواية أيضا أخذت نفس الدلالة القرآنية فالمراد بهذه العبارة أن تأخذ مجراها بين الناس وأن يعلم الجميع وخاصة المهووس بالدين والمتشدد، المتسلط أن الدين دين يسر لا دين عسر وأن الله يطلب من عباده ما يقدرون عليه فلذا لا يمكن أن يُكلف الإنسان مالا طاقة له به، ولا يمكن أيضا لأي شخص ذا طاقة وسلطة أن يخرج عن هذا المقصد والشرع الديني أبدا و«إن هذه المشاهد وتلك الصور، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني في ماء الصورة، وجو المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرقعة المعروضة»[xii] ونجده في نفس السياق يقول « ويطلب من رسوله أن يجادل الناس في دينه بالتي هي أحسن ويدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة»[xiii] فهو يمتص الدلالة اللغوية المشرفة من الآية ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾* فقد جاء الراوي بهذه الآية ليوضح الفرق بين الدين الإسلامي والضلالة وبين المسلم الحق ومن يدعي الإسلام وقلبه غير خاشع بالإيمان، فشتان بن المؤمن ومدع الإيمان فكلما توغل كريم في المقارنة وجد الفرق ووجد النقيض، «لذلك، فإن أية قراءة فعالة ينبغي ألا تقرأ النص في وحدته وسكونه، بل في تعدده وتوتره، لأن عملية الربط بين الأنساق والدلائل المتغايرة للنص تتطلب إنتاج إستراتيجيات متعددة من التركيبات والإحالات والتوازيات»[xiv] بمعنى آخر القراءة الفعالة تتطلب القدرة على فهم النص بشكل شامل يمكن القارئ من بناء فهم أعمق وأكثر اتساقا للنص ومضمونه، وليس فقط فهم الكلمات والجمل بشكل منفصل، من خلال ربط الأفكار والمعلومات ببعضها البعض.

ثم نجد الراوي محمد ساري يصور لنا الوضع الذي آل إليه الجميع حيث بدا الاغتيال سهلا بالنسبة لمن لا يخاف الله وقد ورد ذلك على لسان رئيس بعد حادثة اغتيال مفتش الشرطة الذي وضع حد لحياته شاب من معارفه قائلا لأصحابه «حذاري حياتكم في خطر سيباغتكم الموت من حيث لا تنتظرون»[xv] وهو تناص مع الآية الكريمة ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ، وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ، قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ، فَمَالِ هَـٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾* حيث يحاول محمد ساري أن يعبر عن فكرة أساسية يؤمن بها كل البشر وهي أن الموت قدر محتوم لا مفر منه، وخاصة في هذه الأيام أيام الحرب الأهلية حيث أصبح المسلم يقتل أخاه المسلم وأصبحت الجنازة تشيع في كل وقت والاغتيالات من أقرب الناس.

ونجد أيضا الراوي يستحضر تناصا غير مباشرا في قوله على لسان فريد زيتوني الذي تلقى أنواع التعذيب على يد موح لكحل قائلا « نظرت بشدة أوجعني كنت حيا وبصيرا بعد أن كنت على شفا حفرة من الموت والعمى »[xvi] يتناص الراوي مع قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾* فالمقصود بشفا حفرة الواردة في الرواية تختلف عن مقصود الرواية ففي هذا الموقع يقصد به الهلاك الذي ألحقه موح لكحل بفريد زيتوني بعد التعذيب الذي أنهكه كاهلة وجعله يرتعش خوفا من فقدان البصر والموت ففقدان البصر يثير حالة من الخوف والذهول والفزع ولا طعم للحياة بدون هذه النعمة وهذا «فعل إبداعي يقع على الواقع فيعد تشكيله جماليا، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو مواضعة تصويرية للغة»[xvii] وهذا النوع من الفن يعتمد على تفسير المشاهد وفهمها من قبل المشاهدين.

ومن التناصات القرآنية التي تطرق لها الراوي أيضا قوله في الجزء الثامن عشر على لسان كريم « الموت قفزة منقذة للقاء وجه الخالق الجبار، رحلة ممتعة نحو جنات النعيم ذي الخيرات الحسان بحدائقها الغاصة بالفاكهة والنخل والرمان وكل ما تشتهي النفس ولم تنله في الحياة الدنيا والحور المقصورات في الخيام لم يطمثهن انس قبلنا ولا جان »[xviii] مع مجموعة من الآيات من سورة الرحمن حيث يبشر الله المتقين من الإنس والجن بجنتان ويصف لهم هذه الجنة فيقول تعالى ﴿ فيهن قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾*استحضرت هذه الألفاظ المنتقاة من سورة الرحمن لتدل على اعتقاد

أعضاء الجماعة المسلحة التي أوهمت نفسها بالجهاد في سبيل الله وأن الجزاء بعد الموت على يد الطغاة وعدم الاستسلام يجعلهم شهداء الآخرة المجزون بالجنة والخيرات « فهناك المواضيع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية، وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير، والتعبير للتصوير، فهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتدرجة»[xix] ففي التعبير اللغوي يستخدم التناسق لخلق صورة حية تجسد الأفكار والمشاعر بشكل دقيق حتى وإن كان يشوبها الشك.

ولما أراد الراوي أن يكشف عن أفكار الجماعة الإسلامية وأفعالهم قصد الجهاد قال «مادام الهدف نبيلا، فإن الوسائل المستعملة ليست ذات أهمية القصد النهائي وحده الذي ينبغي أن يستقطب طاقاتنا جميعا، وإذا حدث أن ارتكبنا المعاصي مهما كانت كبيرة، فإن الله غفور رحيم، يعرف حق المعرفة بأن نوايانا صافية قد سخرنا النفس والنفيس لخدمته وإعلاء كلمته، يغفر لنا ولضحايانا سيبعث كل فرد حسب نيته، قصدنا نبيل، وإذا صادفنا مسلما بريئا وقتلناه غفر الله لنا وله »[xx] في هذا المقطع يحاور مجموعة من الآيات الكريمة أولها قوله تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾* فمن هذه الآية ساق الراوي نصه ليفصح عن نية هذه الجماعة والآية هنا جاءت تنص عن التوبة والرجوع إلى الله بعد المعاصي في حين استلهم الراوي هذا المعنى لا لتوبة هؤلاء الجماعة وإنما لتماديها في القتل دون معرفة النفس المقتولة رغم أن الجميع ينطق بالشهادة وهم مسلمون« تعبير بلاغي، يرتكز أساسا على تحقيق العلامة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية أو التشكيلية»[xxi] فتخلق شغفا في الروح وتراوح الأفكار بين متاهات الوجدان لتنسجم معانيها بأناقة وتلوح أبعادها بسلاسة، تترجم أفكار الكاتب، وتشعر القارئ برقة الإيقاع وعمق الحوار.

ثم نجده يتفاعل مع الآية الكريمة ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾* وذلك من خلال استحضاره لجملة وقد سخرنا النفس والنفيس لخدمته وإعلاء كلمته ولكن إذا لجأنا إلى الربط بين الحديث والرواية بشكل عام نجد أن كل واحد يصب في واد نجد أن الراوي استند إلى هذه الكلمات ليدعم نصه لأن الجهاد هنا لا يحمل المعنى الذي أراده الله سبحانه وتعالى في آياته فهذا الجهاد شبيه بالاحتيال والنهب والصد عن الإسلام وتعاليمه .

وتناص الراوي مع قوله ﴿ إِنَّا لله وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾* وهذا التناص اجتراري لا يخرج عن المعنى الأصلي للآية القرآنية الكريمة .

ومن التناص القرآني الذي استحضره محمد ساري أيضا قوله « لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »[xxii] فهذا تناص مع قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾* فقد توافق سياق الراوي مع النص القرآني فهذه المعاصي التي ارتكبتها نساء وادي الرمان ونساء زمن الرواية هن من أُسقطت عليهن اللعنة في الدنيا والآخرة وأُسقطت على الرجال، وفيه قام الروائي باستئصال عبارة تخص لضرورة السردية نخزن « معالم النص السابق حتى لا تبرز بشكل كبير في النص اللاحق»[xxiii] وإنما تظهر من خلال السياق فقط.

ثم نجده يستحضر البسملة المرافقة للسان المسلم في كل حين وأثناء كتابة الخطب الدينية عند ذلك يقول الإنسان « بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم» وقد وظفها في كتابة الخطبة الدينية الموجهة من الجماعة الإسلامية ليستفتحو بها خطبهم، فاستعمل الراوي هذا التناص مع البسملة التي بدأت بها سور القرآن الكريم جميعها باستثناء سورة التوبة، واستفتح بها سيدنا سليمان رسالته إلى ملكة سبأ قائلا ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَان وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾* فجاءت تصور حالة كتابة الخطب والرسائل التي ترسل أو تعلق كلافتة، وهو وصف جاء من الواقع فعند كتابة أي رسالة دينية يستفتحها الباعث بالبسملة و«هذه هي السورة الأولى في القرآن، فناسب أن يستفتحها بالإقراء، وباسم الله: الإقراء للقرآن؛ واسم الله، لأنه هو الذي يدعو باسمه إلى الدين. والله "رب" فالقراءة للتربية والتعليم»[xxiv] وتعطي بعدا إضافيا من الخشوع والتواضع مما يجعل تجربة مميزة ومعبرة.

وفي موقع آخر يمتص الراوي كلمة "الحمد لله" في قوله « الحمد لله الشمة نتنة ولكنها مسكنة، بدونها، أصبح كالسكران »[xxv] هذه العبارة المتداولة على الألسن يثني بها العبد ويشكر الله إذا أخطاه المرض والمصائب أو انعم الله عليه بنعمه فالحمد هنا حمدا لنجاة من القتل واستعمالها دلالة على أن الخطبة الدينية المعلقة على حائط المسجد لم تكن تنهي عن الشمة المستعملة من طرف هذا الشيخ المهووس بها، وقد أدت هذه اللفظة نفس الوظيفة وهو ترداد لكلمة الحمد التي استفزتها المعاني التي استحضرت في سياق الكلام «وقد تفاعلت بوصفها ممارسات دلالية متماسكة، إنها تتجاوز وتصطرع، وتتزاوج وينفي بعضها البعض الآخر، أو باختصار عندما تتفاعل نصيا، تتفاعل بوصفها أنظمة علامات متماسكة لكل منها دلالته الخاصة به، وهذه الأنظمة عندما تلتقي في النص الجديد، تسهم متضافرة في خلق نظام ترميزي جديد، يحمل على عاتقه عبء إنتاج المعنى أو الدلالة في هذا النص»[xxvi]، الجديد الذي خرج للعلن بفضل التفاعلات المختلفة.

وكذلك حضرت في الرواية عبارة « أنا ربكم الأعلى»[xxvii] التي تناصت مع الآية الكريمة ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾* حافظت هذه العبارة على الألفاظ واختلفت مع الآية الكريمة في المعنى فالمعنى في النص خص العبودية بالفرد الطاغي الذي لا حول له ولا قوة، والآية خصت العبودية بالله الواحد الأحد الأحق بالعبادة والإقناع والانصياع للأوامر والآية المقدسة جاءت ملتحمة في السرد الروائي، إذ لا فاصل بينها وبين السرد فتحقق الأثر في «النص على أنها توظيف للغة توظيفا نوعيا كيفيا بما أنها في حالة الإنشاء النصوصي تمثل دالا حيا متحركا يفعل فعله لأنه ذلك الدال وليس لأنه مدلول مضموني محدد»[xxviii] معتمدا على الجانب الجمالي الإبداعي أكثر من الجانب الدلالي المعنوي.

ومن قوله « رماهم في لهب جهنم خالدين فيها أبدا»[xxix] تناص مع قوله ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾* فهو يستحضر قصة أبي لهب فيذكر مفردة لهب في النسق الروائي لكن الموقف يختلف، ففي النص الروائي جاء دعاء على الفاسقين من النساء والرجال الذين يأتون الفاحشة ما ظهر منها وما بطن أما في النص القرآني فكانت تخص أبا لهب وزوجته التي كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم لأذيته فيقف القارئ بينهما مستشعرا إرهاصات عذاب أبي جهل وزوجته لمحو الثقافة الإسلامية العميقة والمتجردة في ذاكرته الشعرية الأولى التي أسعفته في تحريك مشهد قرآني.

التناص مع الحديث النبوي الشريف

إن الحديث النبوي الشريف ثاني مصدر من مصادر التشريع الإسلامي المعتمد بعد القرآن الكريم، وبما أنه يحتل مكانة جد مميزة في استنباط الأحكام الدينية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية منه فإن الكثير أيضا من الشعراء والأدباء عكفوا عليه لينهلوا منه مادتهم ، فقد كان ولا يزال أحد المناهل والمصادر التي التفت إليها محمد ساري الذي استطاع أن يستوعب مضامينه ودلالاته ثم العمل على إذابتها في نصه فيقول في الفصل الحادي عشر على لسان شخصية يزيد لحرش « امسك الرأس جيدا كي أتمكن من إتقان الذبح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح »[xxx] وبهذا أصبح هذا القول « مجموعة من آليات الإنتاج الكتابي لنص ما، تحصل بصورة واعية أو لا واعية بتفاعله مع نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه»[xxxi] ليتمم فكرته ويدعم أقواله.

عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل[xxxii]، ثم قرأ عبد الله هذه الآية القرآنية التي تحذر من العودة إلى هذا الفعل والتعدي على حدود الله ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين ﴾[xxxiii] فهذه الآية دليلا قاطعا على تحريم زواج المتعة التي تحدث عنه الأفغاني.

وقد اعتمد الأفغاني في دعوته لأصحابه على هذا الحديث الشريف الذي فسخه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ثم حرمه إلى يوم القيامة فعند قراءتنا لهذا المقطع نجده يتحدث عن زواج المتعة الذي أحلوه لأنفسهم وجعلوه حقا شرعيا يحارب في سبيل الله منتهجين طريقا غير طريق الله ولا رسوله ولا الجهاد الذي يقربهم من الجنة والله.

---

[i] لينية خمار،شعرية النص التفاعي آليات السرد وسحر القراءة، رؤية النشر والتوزيع ، دط، 2014، ص8

[ii] أحمد الزغبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2000، ص37

[iii] محمد ساري: الورم ص 16

[*] سورة البقرة الآية 216

[iv] محمد ساري: الورم ص 16

[*] سورة التوبة الآية 51

[v] إبراهيم الرماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1981، ص291

[vi] محمد ساري: الورم ص17

[*] سورة النساء الآية 142

[vii] حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003، ص09

[viii] محمد ساري: الورم ، ص19

* سورة النور الآية 27

[ix] محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص173

* سورة الرحمن الآية 56

* سورة محمد الآية 15

[x]محمد ساري: الورم، ص54

* سورة النازعات الآية 24

[xi] محمد ساري: المرجع نفسه، ص32

* سورة البقرة الآية 286

[xii] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص114

[xiii] محمد ساري: المرجع نفسه ص32-33

* النحل الآية 135

[xiv] محمد بوعزة، إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص41

[xv] محمد ساري: الورم ص 215

* سورة النساء الآية 78

[xvi] محمد ساري: الورم ص 248

* سورة آل عمران 103

[xvii] سميح قاسم وآخرون، محمود درويش المختلف الحقيقي دراسات وشهادات، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص187

[xviii] محمد ساري: الورم ص 273

* سورة الرحمن الآية 56-68-70-72-74

[xix] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1988، ص90

[xx] محمد ساري: الورم ص 198

* سورة التوبة الآية 103

[xxi] نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، ط1، 1995، ص197

* سورة الصف الآية 10-12

* سورة البقرة الآية 156

[xxii] محمد ساري: الورم 166

* سورة الأحزاب الآية 57

[xxiii] سعيد يقطن، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص34

* سورة النمل ، الآية 30

[xxiv] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص20

[xxv] محمد ساري: الورم 165

[xxvi] عبد النبي اصطيف، التناص، مجلة راية مؤتة، مج2، ع2، كانون الأول 1993، ص53

[xxvii] محمد ساري، المرجع السابق، ص 54

* سورة الأنبياء الآية 92

[xxviii] عبد الله محمد الغدامي، ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، دار سعاد الصباح، ط2، 1993، ص73

[xxix]محمد ساري: مرجع سابق ص 166

* سورة المسد الآية 3

[xxx] محمد ساري: الورم ص 181

[xxxi] عبد الجبار الأسدي، ماهية التناص، مجلة الرافد عدد 31 الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، 2000، ص15

[xxxii] صحيح مسلم كتاب النكاح ،ص 1023

[xxxiii] سورة المائدة الآية 87